المحاضرة 5 **أ.حساين**

الفكر الاجتماعي في ظل الحضارة الإسلامية

تمهيد

عاش المجتمع العربي الجاهلي اضطرابات اجتماعية قبلية متنوعة مهدت لتقبل الدين الجديد وهو الإسلام والذي انطوى على جانبين مهمين هما الجانب الدنيوي والجانب الآخروي وكلا الجانبين كان هدفهما تنظيم العلاقات الاجتماعية والدينية والفكرية والسياسية فعاش المجتمع الإسلامي في آمان واستقرار لمدة من الزمن إلى عهد الدولة الأموية حيث صار الحكم وراثي بعد أن كانت الخلافة على مبدأ الشورى وبدأت النزاعات على السلطة تظهر مجددا. وفي العصر العباسي بدأت الترجمة الفعلية للتراث الفلسفي والعلمي اليوناني وتحديدا في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور والخليفة هارون الرشيد وازدهرت خصوصا في خلافة المأمون لحبه للفلسفة، ومن أهم من اهتم بالترجمة هم **آل حنين**؛ حنين بن إسحاق وابن أخته حبيش بن الأعسم، فقد ترجم حنين الأب محاورة **الجمهورية ومحاورة القوانين** لأفلاطون وكتاب **الأخلاق إلى نيقوماخرس** لأرسطو[1]. وتعد هذه الأوضاع والتحولات التي شهدها المجتمع سببا في ظهور الكثير من المفكرين والعلماء الذين بحثوا في المشكلات والظواهر الاجتماعية الجديدة التي نشأت في المجتمع العربي الإسلامي وسنأخذ نموذجا واحدا من المفكرين العرب في المشرق العربي وهو العلامة أبو نصر الفارابي، ومن المغرب العربي سنأخذ العلامة عبد الرحمن بن خلدون والذي كان له الفضل الكبير في نشأة علم الاجتماع.

8.1-أبو نصر الفارابي (874-950م)

تحدث الفارابي كثيرا عن الفكر الاجتماعي السياسي وهو يحاكي جمهورية أفلاطون فكتب كتابا معنونا " بالمدينة الفاضلة"، إذ رأى أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فإذا كان جسم الإنسان يتكون من أعضاء مختلفة وكل عضو يقوم بوظيفته، فكذلك المجتمع يتشكل من أفراد ولكل فرد

[1]-ينظر المرجع السابق،ص 106

وظيفته داخل النظام الاجتماعي، فالرئيس هو بمثابة القلب بالبدن وقد حدّد للرئيس الذي يحكم المدينة الفاضلة مجموعة من الصفات التي استمدها من أفلاطون ومن الدولة الإسلامية " دولة الرسول والصحابة "

- ❖ رأى أن يكون الرئيس تام الأعضاء وسليم الحواس
- ❖ أن يكون جيد الفهم
- ❖ أن يكون ذكيا فطنا
- ❖ أن يكون بليغا وفصيح اللسان
- ❖ محبا للعلم والعلماء
- ❖ صادقا محبا للصدق، عادلا، عزيز النفس كريما
- ❖ شجاع وقوي الإرادة.

أ–أوجه التشابه بين أفلاطون والفارابي

- الفارابي وأفلاطون جعلا الخير والسعادة هما غاية الإنسان وغاية كل اجتماع بشري
- ضرورة الاجتماع بمعنى أن الإنسان الفرد لا يستطيع أن يكفي نفسه بنفسه، بل يحتاج إلى من يعينه في توفير حاجياته.
- رغم أن الفارابي تحدث على الاجتماعات العظمى والوسطى والصغرى ورأى أنها الأفضل والأحسن إلا أن في كتابه تحدث عن اجتماع مدينة نظرا لتأثره بفكرة أفلاطون المدينة الدولة.

ب–أوجه الاختلاف بين أفلاطون والفارابي

- رأى الفارابي أن يكون رئيس المدينة (فيلسوفا، حكيما،ونبيا) يتلقى من العقل الفعال (نفحات الوحي) في وقت واحد، أفلاطون رأى أن يكون رئيس المدينة حكيما وفيلسوفا.
- لم يمانع أفلاطون أن يكون الحكم في يد جماعة من الحكام، رأى الفارابي أن يكون الحكم في يد حاكم واحد.

- لم يقسم الفارابي المجتمع إلى طبقات وإنما عمد إلى تشبيه المدينة الفاضلة بجسم الإنسان
- تجنب الفارابي تماما لأسباب دينية واجتماعية، آراء أفلاطون الراديكالية التي تقود إلى مبدأ الشيوعية على صعيد الأسرة[2].

8.2-ابن خلدون (1332-1406) م

ولد ابن خلدون في تونس عام 1332م لأسرة أصلها يمني، وكان لأسرته الكثير من النفوذ السياسي في بلاد الأندلس، وقد هاجرت أسرته من الأندلس إلى تونس في بداية سقوط الأندلس في يد الإسبان، عاش معظم حياته متنقلا في بلاد شمال إفريقيا.حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ثم تفسيره ودرس الحديث والفقه واللغة إضافة إلى علوم أخرى مما جعلته موسوعة تمشي على رجليه.ألف العديد من الكتب أشهرها **المقدمة** وكان عمره آنذاك 34 سنة ومن مؤلفاته " رحلة ابن خلدون في المغرب والمشرق" "ديوان المبتدأ والخبر" الذي جاء في 7 مجلدات، مات في عام 1406م في مصر ودفن في مقابر الصوفية في القاهرة.يعد ابن خلدون[3]

- ✓ أول من نادى بضرورة قيام علم لدراسة المجتمع سماه " علم العمران البشري"
- ✓ وكان أول من وضع قوانين منظمة للحياة وتطور المجتمع
- ✓ تمكن من وضع عدد من النظريات الجديدة في كل من علمي التاريخ والاجتماع
- ✓ يعتبر ابن خلدون أول مفكر يتعرض لفكرة التقدم ووحدة العمليات الاجتماعية.

من أهم ما ميز النظريات التي أسسها هذا المفكر " فصله بين ما سماه بالتاريخ القصصي المملوء بالخرافات والأوهام وبين التاريخ العلمي الذي يقوم على تحري الحقائق ورفض المسائل التي تتنافى مع

---

[2]-ينظر،تاريخ الفكر الاجتماعي، ص 111

[3]-ينظر، عبد الغني المغربي ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1988، ص 10

طبائع الأشياء وتسلسل الأحداث، كما أنه وجد أن الحياة الاجتماعية لا تسير وفق أهواء المؤرخين وإنما تسير على أساس قوانين ثابتة.

ونادى بضرورة قيام علم لدراسة المجتمع وهو العلم الذي أطلق عليه ابن خلدون اسم " العمران البشري" "كما كانت له عدة آراء اجتماعية حول الإنسان، حول التربية، نظرية نشوء الحضارات والدول، آراء حول الاقتصاد.....

1. آرائه حول الإنسان

الإنسان اجتماعي بطبعه، وله حاجات متعددة ولا يمكن أن تتوفر إلا بالتعاون المتبادل بين الأفراد. غير أن هذا يؤدي إلى نشأت صراعات فتصبح من الضروري إنشاء حكومة لتنظيم هذه العلاقات.[4]

2. آرائه التربوية

رأى أن للتربية أهداف كثيرة:

- ✓ تساعد على النشاط الفكري للإنسان
- ✓ توفر حياة طيبة في وسط مجتمع راق ومتحضر
- ✓ سببا في كسب الرزق وتنمية الخصال الحميدة
- ✓ استمرار التعليم من المهد إلى اللحد ليس هناك حد ينتهي عنده التعليم
- ✓ ضرورة مراعاة قدرات الطلاب والفروق الفردية بينهم
- ✓ لا نثقل على المتعلمين فوق طاقاتهم
- ✓ طريقة التعليم تكون بطرق سهلة حتى يقبل الطلاب على العلم وتزيد الدافعية لديهم
- ✓ أن لا يكون العلم منفردا لهم
- ✓ مراعاة مبدأ التدرج من السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد

[4]-محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،1986، ص 8

- ✓ نادى بتعلم القراءة والكتابة ثم الانتقال لحفظ القرآن الكريم وتعلمه
- ✓ رأى أن التجاوز في العقاب يعمل على إفساد أخلاق الطلاب
- ✓ استخدام الترغيب والترهيب والعزل والإهمال ويعد العقاب البدني آخر مراحل العلاج (لتعديل سلوك معين)
- ✓ أكد ابن خلدون على أهمية استخدام أسلوب المناقشة في التدريس لأن هدف التدريس أن المتلقي يصير على درجة عالية من الفهم وليس فقط الحفظ دون الفهم والتعمق[5].

3-آرائه الاقتصادية:

له آراء كثيرة في المجال الاقتصادي

- ✓ قسم السلع إلى نوعين الضرورية والكمالية، وقال أن المجتمع الذي أصبح أكثر تقدما تصير فيه الكماليات ضروريات
- ✓ تحدث عن الأجور: كلما ازدهر الاقتصاد ارتفعت الأجور وأنها تنخفض بانخفاضه.
- ✓ رأى أن تدخل الدولة في التجارة والسيطرة عليها أمر مضر للرعية
- ✓ رأى أن الدولة والحاكم هما السوق الأعظم، فإذا حجب الحاكم البضائع والأموال والإيراد ولم يصرفها في مصارفها هذا يؤدي إلى نقص ما بأيدي الرعية فتقل نفقتهم ويحل الكساد.فالمال إذا حبسه السلطان فقدته الرعية وينتج عن هذا ثورة الرعية، فهو قد ربط الاستقرار السياسي بالاقتصاد
- ✓ تحدث عن العلاقة بين النقود والقدرة الإنتاجية للدولة فقوة الدولة وتقدمها لا يقاس بما يتوافر لديها من معادن كالذهب والفضة، وإنما يقاس بقدرتها على الإنتاج الذي يعود على الدولة بالذهب والفضة[6].

---

[5]-http://www.faculty.ksu.sa/m.Alfouzan-محمد بن إبراهيم الفرزان، ابن خلدون وفكره التربوي، وذلك على موقع
http://www.islamstory.com- ينظر، سهيلة زين العابدين، نظرية الاقتصاد عند ابن خلدون، 2013/03/17 على موقع

4-نظرية ابن خلدون في نشوء الحضارات

اتضح لابن خلدون أن حركة التاريخ الإسلامي عبارة عن انتقال من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة واكتشف أن محرك هذه الدورة البدوية والحضرية هي العصبية **مفهوم العصبية عند ابن خلدون**

اهتم ابن خلدون في دراسته للمجتمع البدوي بموضوع "العصبية". فرأى أن العصبية هي قوة كبيرة تعمل على ترابط المجتمع البدوي في وحدة كلية يشعر معها كل فرد بالأمان النفسي والمادي (التحالف على من يعاديهم ظالمين أو مظلومين).ومن هنا كانت جميع الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خاضعة في نشأتها وتطورها للعصبية وفاعليتها فقد اهتم ابن خلدون وهو يعيش فترة تاريخية صعبة ارتبطت بفترة انحطاط العالم الإسلامي فبحث في أسباب نشوء الدول وتطورها وانحطاطها فرأى أن نشوء وزوال الدول يمكن تفسيرها وفقا لحتمية تاريخية: فهو يرى أن الدولة تقوم أساسا على الجيل الأول؛ الذي لديه العزيمة والتصميم والقوة لإقامة دولة، ثم يأتي الجيل الثاني فينعم بالاستقرار ويتمتع بما تركه الجيل الأول من خيرات ورفاهية وفي الأخير يأتي الجيل الثالث فيفتن بالماديات والرفاهية والترف فيبدأ البنيان المعنوي في الضعف فتسقط الدولة نتيجة ضعف داخلي أو في مواجهة قوة خارجية تتربص ضعفهم[7]. للعصبية دور هام في موضوع الرئاسة والذي سيتطور فيما بعد إلى مفهوم الدولة.يحدد ابن خلدون وراثة الرئاسة ضمن العصبية القوية بثلاثة أجيال ويحدد عمر الجيل الواحد ب40 سنة فيكون مدة الوراثة حوالي 120سنة وتسقط الدولة.

5-خصائص المجتمع البدوي عند ابن خلدون:

تحدث في المقدمة عن العمران البدوي عن صفات البدو وأخلاقهم وقيمهم، عما تحمل هذه الصفات من متناقضات وتحدث كذلك عن التناقضات بين البدو والحضر.

---

[7]- خليل علي حيدر، آراء متباينة حول ابن خلدون، جريدة الاتحاد، 2009/03/29

يرى ابن خلدون أن البدو نوعان منهم من يحترف الزراعة ومنهم من يمارس الرعي وكلاهما بحاجة إلى مساحات واسعة، فكان وجودهم دائما خارج المدن والحواضر، فهم أناس يعيشون بالاكتفاء بالمقدار الذي يحفظ لهم حياتهم من غير مزيد، فإن اتسعت أحوالهم وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاهية دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وهؤلاء هم الحضر، أهل الأمصار والبلدان؛(بعد ممارستهم بعض الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة).وقسم البدو إلى قسمين

البدو الذين هم أهل زراعة وهؤلاء يميلون إلى الاستقرار فهم من سكان القرى والجبال.

البدو الذين هم أهل رعي فهم أقل استقرار وأكثر توحشا (التوحش عند ابن خلدون: أكثر الناس بعدا عن أسباب الرفاهية والترف).

فأحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وهي أصل لها.

يؤكد ابن خلدون أن الحياة في البادية رغم بساطتها في بعض الأمور وقسوتها في أمور أخرى، فهي منشأ الأنبياء والحكماء والصالحين والزهاد والعباد.فقد سرد ابن خلدون الكثير من الصفات الإيجابية لدى البدو مثل الميل إلى الخير والشجاعة والإقدام والكرم وإغاثة الملهوف، وأنهم أهل فطرة يكرهون الابتذال، نجده كذلك يسرد بعض صفاتهم السلبية فنعتهم أنهم أهل نهب وعبث، يرى أنهم إذا انتصروا على أوطان فهي أسرع إلى الخراب وسبب ذلك أنهم أبعد الناس عن التمدن والحضارة وحياة الألفة بين البشر (التوحش) وهذا راجع إلى حبهم للعزلة وعدم الانقياد لأوامر الحاكم وهذا مخالف للحياة في المدينة في ظل حضارة ما.

لا يحبون الصنائع وخاصة الصنائع الدقيقة والتي تحتاج إلى مهارة ودقة وصبر في العمل وذلك لأنهم أبعد عن العمران الحضاري، اتصفوا بالتوحش والغلظة والأنفة وبعد الهمة فقلما تتفق أهواؤهم وتتحد منازعهم إلا في حالة تأثرهم بدعوة دينية.

6–أوجه التناقض بين البدو والحضر عند ابن خلدون

البدوي	الحضري
شجاع	جبان يؤثر الدعة
طيب الخلق يعيش بفطرته	أفسدته الحضارة وجعلته مخادعا وكذابا
يدافع عن نفسه بحد السيف	أوكل أمر الدفاع عن نفسه للدولة
لا يحب العلم ويكره الصنائع الدقيقة	هو أهل علم ويحب الصنائع
يحب السلب والنهب ويظن أنهما مظهر من مظاهر القوة	يحترم حقوق غيرهم ويكره السلب والنهب

اتخذ الصراع بين البداوة والحضارة عدة أشكال من أبرزها موجات الهجوم المتتابعة التي يشنها البدو على الحضر فينتج عن ذلك الجيل الأول ثم الجيل الثاني ثم يأتي الجيل الثالث